أشراط الساعة بين العلم والدين

د/ سعد الدين السيد صالح

أستاذ العقيده والفلسفة المساعد بالكلية

أشراط الساعة بين العلم والدين

تمهيـــد :

لاخلاف بين الدين والعلم الصحيح فى قضية نهاية الكون ،وإذا سمعت يوما عن خلاف بينهما حول هذه القضية ، فاعلم أن الخلاف لم يأت من الدين كدين ولا من العلم كعلم صحيح ولكنه أتى من رجال منسوبين إلى العلم زورا وبهتانا ، لم يسايروا المنهج العلمى الصحيح حتى النهاية ، وانما وصلوا إلى بعض الأشياء والفروض التى توهموا أنها القوانين النهائية التى تستطيع أن تفسر لهم حقيقة الكون ، بدايته ونهايته سننه ونواميسه .

ومن هؤلاء العلماء « لا فوازيه » عالم الكيمياء الذى زعم أنه قد وصل إن مبدأ بقاء المادة وعدم فنائها (١) ، وظن الملحدون والمنكرون لحقائق الدين أنهم بذلك قد قضوا على ما أكده الإسلام من أن لهذا الكون بداية ونهاية ، وأن كل شىء هالك الاوجه الله سبحانه وتعالى ، ثم تأتى بعد ذلك أحدث القوانين العلمية فى القرن العشرين لكى تهدم مبدأ(لافوازية) وما ترتب عليه من نتائج ، حيث أثبت العلم الحديث فناء كثير من المواد ذات الطاقة الاشعاعية ، كالراديوم والأورانيوم ،كما دلت الأبحاث الكيمائية على أن بعض المواد فى سبيل الزوال والفناء ولكن بعضها يسير بسرعة كبيرة والآخر يسير بسرعة ضئيله ، وعلى ذلك فإن المادة لا يمكن أن تكون أبدية .

هذا التعارض بين القوانين العلمية من جهة ، وبين بعضها وبين حقائق الدين من جهة ثانية هو الذى دعانى إلى بحث هذه القضية .

فأقول وبالله التوفيق :

---

(١) راجع « المنطق الحديث ومناهج البحث » للدكتور محمود قاسم ص ٣٥٩

لا شك أن الوقت المحدد للساعة ، من الأمور التى ستأثر الله بعلمها ، ولم يعلمها لأحد من أنبيائه ورسله حتى ولا أشرف الخلق سيدنا محمد ﷺ الذى يخاطبه ربه بقوله: « يسألونك عن الساعة أيان مرساها ، قل إنما علمها عند ربى لا يجليها لوقتها إلا هو ثقلت فى السموات والأرض لا تاتيكم لا بغتة يسئلونك كأنك حفى عنها ، قل إنما علمها عند الله ولكن أكثر الناس لا يعلمون » (١) .

وهكذا استأثر الله بعلم الساعة حتى يتم الامتحان والابتلاء فيجد فى العمل من يخشى الله ، لأنه يخاف أن تأتيه الساعة بين لحظة واخرى ، ويسدر فى غوايته وضلاله من يعيش لدنياه على أمل أن العمر طويل ، ولن الدنيا ممتده ، وبهذا يمنى نفسه أو تمنيه نفسه وتغويه وتورده موارد التهلكة ، ويستقطبه شيطانه يزين له السوء ، ويجعل له طريق الغوايه ويعده ويمنيه بطول الأجل واستمرار البقاء « يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان الاغرورا » .

ومن هنا استأثر الله بعلم وقوع الساعة حتى تتم عناصر الامتحان والابتلاء الذى يعيشه الإنسان فى هذه الدنياء

ولكن الله سبحانه وتعالى من باب الرحمة بعبادة جعل للساعة علامات وإشارات تنبيها للناس وتذكيرا لهم، لعلها تردع السادرين فى غيهم فتردهم إلى طريق الهداية خاشين من الله خاشعين له ، يقول الله تعالى « يسئلونك عن الساعة أيان مرساها فيم أنت من ذكراها إلى ربك منتهاها ، إنما أنت منذر من يخشاها » (٢) .

وهكذا كشف الله لنا عن علامات الساعة وأشراطها تلطفا منه

---

(١) الأعراف ١٨٧ (٢) المنازعات ٤٥

وفضلا ، حيث لم يجعلها تأتى الناس فجأة وبلا إنذار بل جعل لها علامات خاصة كشف عنها القرآن الكريم ووضحها رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سنته المطهرة يقول الله تعالى « فهل ينظرون إلا الساعة أن تأتيهم بغتة فقد جاء أشراطها فأنى لهم إذا جاءتهم ذكراهم »(١).

فما هى هذه الأشراط التى جاءت بالفعل ، وما هى الأشراط التى لم ينكشف عنها بعد ؟

أنواع علامات الساعة :

قسم العلماء علامات الساعة إلى قسمين :

١ — علامات صغرى .

٢ — وعلامات كبرى .

أو علامات بعيدة وعلامات قريبة ، وسوف نوضح كل قسم منها فيما يأتى مع الأشارة إلى ما تحقق منها وما لم يتحقق .

وأخيرا نوضح موقف العلم الحديث من هذه العلامات .

العلامات الصغيرى :

تتنوع هذه العلامات إلى نوعين أحدهما ما تحقق بالفعل والآخر ما هو فى طريقه إلى التحقيق .

---

(١) سورة محمد — ١٨

العلامات التى تحققت :

من هذه العلامات :

١ — بعثة النبى ﷺ :

فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « بعثت أنا والساعة كهاتين وأشار إلى أصبعيه السبابة والوسطى وقرن بينهما »(١) فبعثة النبى ﷺ هى الدليل على أن ما تبقى من هذه الدنيا أصبح شيئا قليلا جدا بالقياس إلى ما انتهى منها .

ومن هنا كانت رسالته هى الخاتمة فلا رسالة بعدها وكان هو العاقب فلا نبى بعده .

وقد يقول قائل ولم لم تقم الساعة إلى الآن وقد كانت بعثة الرسول ﷺ منذ الف وأربعمائة سنة ؟

والذين يقولون هذا القول غافلون عن حقيقة الزمن وحقيقة عمر الكون ، فهذا الكون عمره لا يقدر بالآلاف من السنين ولا بالملايين ، وإنما بالبلايين حيث قال علماء الفلك أن هذا الكون قد بدء منذ سبعة بليون سنة ومنهم من زاد على ذلك .

وعلى هذا فلو كان ما بقى من عمر الكون مليون سنة أو أكثر فنحن أيضا فى آخر الزمان ، فما بالنا ولم يمض على بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم إلا ألف واربعمائة سنة ، وما قيمة هذه الفترة المحدودة فى عمر الكون ، فلا شك فى صدق الرسول ﷺ فهو نبى آخر الزمان ، وبعثته علامة من علامات الساعة .

---

(١) رواه البخارى ومسلم .

ومن هنا كان حديث القرآن الدائم عن القيامة بصيغة الماضى وكأنها حدثت بالفعل دليل على قرب نهاية الكون .

يقول الله تعالى : « اقترب للناس حسابهم وهم فى غفلة معرضون » ، ويقول : « اقتربت الساعة وانشق القمر » ، ويقول : « أزفت الآزفة ليس لها من دون الله كاشفة » ، وغير ذلك من الآيات التى تدلك بحق على أن بعثة الرسول ﷺ هى أول علامات الساعة لعمل البشرية ترتدع عن غيها وضلالها وانحرافها وتحريفها للوحى السابق ، وتعود إلى طريق النجاة فى ظل النبوة الخاتمة .

ويجيب الشيخ سيد قطب على هذا الاعتراض من زاوية أخرى فيقول : « إن اقتراب الساعة لا يحدد زمناً معينا لها ؛ فحساب الزمن فى تقدير الله غيره فى تقدير البشر « وإن يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون »(١) .

٢ — إنشقاق القمر :

وهذه العلامة ثابتة بالكتاب والسنة ، أما الكتاب فقول الله تعالى : « اقتربت الساعة وانشق القمر » .

فانشقاق القمر فضلا من كونه معجزة حسية لرسول الله ﷺ ، فهو علامة من علامات الساعة .

وفى الصحيحين عن ابن مسعود قال : « رأيت القمر منشقاً شقتين بمكة قبل مخرج النبى ﷺ شقة على جبل أبى قبيس وشقه على السويداء ، فقال كفار قريش — أهل مكة — هذا سحر سحركم به ابن أبى كبشه . انظروا

(١) فى ظلال القرآن المجلد الخامس ص ٥٩

السفار ، فإن كانوا رأوا مثل مارأيتم فقد صدق ، وإن لم يكونوا رأوا مثل مارأيتم ، فهو سحر . قال : فسئل السفار وقدموا من كل وجه ، فقالوا : رأينا »(١) .

وهكذا فانشقاق القمر فضلا عن كونه معجزة كبرى من معجزات الرسول الحسية ، فهو إشارة عظمى إلى قرب قيام الساعة ، وهذا هو سر الاقتران بين الحادثتين فى الآية الكريمة .

٣ — موت الرسول — ﷺ — وفتح بيت المقدس ، وموت يستحر بالناس وعلامات أخرى وردت فى الحديث الذى رواه البخارى وأبو داود وابن ماجه بسنده « عن عوف بن مالك الأشجعى قال « أتيت النبى ﷺ فى غزوة تبوك وهو فى قبة من أدم فقال « اعددستا بين يدى الساعة : موتى ثم فتح بيت المقدس ، ثم موتان يأخذ فيكم كقعاص الغنم ، ثم استفاضة المال حتى يعطى الرجل مائة الدينار فيظل ساخطا ثم فتنة لا يبقى بيت من العرب إلا دخلته ثم هدنة تكون بينكم وبين بنى الأصفر فيغدرون فيأتونكم تحت ثمانين راية تحت كل راية اثنا عشر ألفا » .

وكان الرسول ﷺ يريد بهذا الحديث أن يذكر الناس بالساعة كلما دنا وقتها ، فبينما أخبر بأن بعثته دليل على ذلك يخبر هنا بموته كدليل آخر حتى يكون الناس منها دائما على ذكر .

وقد تحقق معظم ما ورد فى هذا الحديث من علامات وخصوصا كثرة المال مع زيادة الجشع والطمع وعدم الرضا ، وكذلك الفتنة التى لم تترك بيتاً من الناس ، ولعلها هى الأجهزة الحديثة مثل التليفزيون والفيديو التى يستخدمها الناس فيما يضر لا فيما ينفع — اللهم إلا فى النادر القليل —

(٢) قارن ص ١٦٣ ج ٢ من الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لابن تيميه وراجع ص ١٤٣ من شمائل الرسول — لابن كثير .

حيث تحولت هذه الأجهزة إلى وسيلة تدمير للأخلاق والقيم ، وضيعت الفتيان والفتيات الذين يقضون يومهم وليلهم فى النظر إلى أفلام الجنس وغيرها من وسائل الفتنة .

٤ — اقتتال فئتان عظيمتان من المسلمين :

يقول رسول الله ﷺ لاتقوم الساعة حتى تقتتل فئتان عظيمتان ، وتكون بينهما مقتلة عظيمة ، ودعواهما واحدة »(١) .

ويرى بعض العلماء أن هذه العلامة قد تحققت وإن المراد من الفئتين على ومن معه ومعاوية ومن معه ويفسرونها بواقعة (صفين) .

ولعلنا نستطيع أن نفسر هـذا الحديث بما يحدث الآن بين فئتين من المسلمين هما العراق وإيران حيث تدعى كل واحدة منهما نفس الدعوى .

ولعلنا نستأنس لهذا التفسير بأحاديث أخرى حيث يقول الرسول ﷺ « لا تقوم الساعة حتى يحسر الفرات عن جبل من ذهب يقتتل النـاس عليه »(٢) .

فلعل الذهب المرادمن الحديث هو البترول فهو الذهب الأسودحسب التعبيرات الحديثة .

وفى حديث آخر يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « لاتقوم الساعة حتى يكثر الهرج . قالوا : وما الهرج يارسول الله ؟ قال القتل القتل »(٣).

وهكذا فوقوع القتل بالآلاف المؤلفة بين الفئتين المتصارعتين الآن فى العراق وإيران هو برهان آخر على قدوم الساعة وقربها ، ولـكن الناس غافلون .

(١) رواه مسلم فى كتاب الفتن وشراطه الساعة ح١٨ ص١٣
(٢) البخارى ومسلم . (٣) رواه مسلم .

٥ — ومن علاماتها التى تحققت أيضا ضياع الأمانة :

فقد سئل الرسول ﷺ متى الساعة فأجاب بقوله « إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة » .

قال وكيف إضاعتها ؟ قال : « إذا أسند الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة » .

وقد تحقق هذا الأمر فى أنحاء العالم الإسلامى حيث يوسد الأمر إلى أهل الثقة والمحاسيب ويستبعد أصحاب الخبرة ومن هم لهذه المناصب أهل ، فالمناصب الـكبرى فى العالم الإسلامى اليوم لا مقيـاس لها إلا المصلحة والمنفعة والعصبية الجاهلية ، فلم يعد الإيمان ولا التقوى ولا العمل الصالح ولا الخبرة ولا الـكفاءة هى المقياس ، وإنما أصبح المقياس هو مقياس الجاهلية الأولى .

٦ — انقلاب القيم :

فقد ورد فى حديث الرسول صلى الله عليه وسلم أن من علاماتها : أن تلد الأمة ربتها ، وأن ترى الحفاة العراة رعاء الشاه يتطاولون فى البنيان » .

فهذا الحديث يشير إلى انقلاب القيم حيث تتحول الأمة إلى سيدة ، والسيدة إلى أمة ، ويتحـول رعاع الناس وسفلتهم إلى رؤوس للناس ، وأعال للقوم .

٧ — اهتزاز الإيمان فى نفوس الناس :

قال رسول الله ﷺ « بادروا بالأعمال فتنا كقطع الليل المظلم يصبح الرجل مؤمنا ويمسى كافراً ، ويمسى مؤمنا ويصبح كافراً يبيع دينه بعرض من الدنيا »(١) .

وقد تحقق هذا الأمر بالفعل ، ولكم باع أناس دينهم بأبخس الأثمان وكم من علماء تاجروا فى الدين وباعوه فتاوى جاهزة ومفصلة من أجل منصب دنيوى لفترة محدودة ، ثم يطردون منه شر طرده ، أو من أجل مال يكتنزونه ثم يكون عليهم حسرة ، ثم يتركونه ، وإلى جهنم يحشرون .

وكم من مؤمن اهتز إيمانه بسبب طغيان الطغاة وإجرامهم فى حق شعوبهم .

وهكذا فنحن نعيش الآن هذه الإشارة التى أخبر بها الصادق المصدوق فيما أعلمه به ربه علام الغيوب .

٨ — أن تمنع العراق والشام ومصر خراجها من أهل الحجاز :

فقد ورد فى صحيح مسلم أن من علامات الساعة : « أن تمنع العراق درهمها وقفيزها ، وأن تمنع الشام مديها ودينارها وأن تمنع مصر إردبها ودينارها » .

فى فترة الخلافة الإسلامية ووحدة العالم الإسلامى كانت هذه الدول ترسل معوناتها ومساعداتها لأهل الحجاز الذين كانوا لا مورد لهم اللهم

(١) رواه مسلم .

إلا ما يأتيهم من الحج ومن الرعى ، وبعد أن انفصلت دول العالم الإسلامى وتمزقت استقل كل أهل بلد بخيراتهم وانقطع ما كان يأتى إلى أهل الحجاز من تلك البلاد ، وإن كان الله بفضله قد من على أهل الحجاز بالثروات الأرضية من البترول والمعادن ، إلا أن ما أخبر به رسول الله صلى الله عليه وسلم قد تحقق .

وفى الحديث ملحظ آخر وهو اخبار الرسول بأن هذه الدول سوف يدخلها الإسلام مع أنه أخبر بهذا الخبر والإسلام لم يتجاوز أرض الجزيرة العربية(١) .

هذا وهناك علامات أخرى كثيرة تحققت غير أننا نكتفى بما ذكرنا لكى نشير إلى بعض العلامات الصغرى التى لم تتحقق بعد .

العلامات التى لم تتحقق بعد :

ومنها :

١ — رفع العلم بقبض العلماء :

فعن أنس بن مالك رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال : « من أشراط الساعة أن يرفع العلم ويظهر الجهل ويفشو الزنا ويشرب الخمر ويذهب الرجال وتبقى النساء حتى يكون لخمسين امرأة قيم واحد »(٢) .

والمراد برفع العلم هنا رفع العلم الحقيقى بالله وبدينه حيث يقبض الله أرواح العلماء ولا يبقى إلا المتعالمون والجهلة الذين يفتون بغير علم ويضلون الناس عن الطريق القويم .

(١) عقيدة المؤمن — أبو بكر الجزائرى ص ٣٤١

(٢) رواه مسلم فى كتاب العلم ص ٢٢١ جـ ١٦

وقد تكون ظاهرة كثرة النساء عن الرجال قد بدأت فى التحقيق إلا أنها لم تصل إلى نهايتها بعد حيث يكون لخمسين امرأة قيم واحد .

٢ — انتصار المسلمين على اليهود :

إن من ألوان العقاب التى يؤدب الله بها الأمة الإسلامية أن ينهزموا وإن يلطموا على وجوههم بأقذر حذاء وهو اليهود — أحقر الناس وأقلهم شأنا ، وذلك عقـــاب من الله بسبب انحراف المسلمين عن دينهم ، فقد انتصروا على المسلمين فى كثير من المعارك ومع ذلك يشير الرسول ﷺ إلى نصر مرتقب للمسلمين هو من علامات الساعة التى لم تتحقق بعد ولعلها تبدأ فى التحقق أن شاء الله حيث يقول الرسول ﷺ : «لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود ، فيقتلهم المسلمون حتى يختبىء اليهودى من وراء الحجر والشجر فيقول الحجر والشجر يامسلم يا عبد الله هذا يهودى خلفى فتعالى فاقتله»(١) .

نسأل الله سبحانه وتعالى أن تتحقق هذه العلامة فهى دليل على عودة الناس إلى إسلامهم مرة ثانية : «إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم» .

٣ — خروج رجل من قحطان يسوق الناس بعصاه . حيث ورد فى البخارى ومسلم «لا تقوم الساعة حتى يخرج رجـــل من قحطان يسوق الناس بعصاه» .

(١) متفق عليه .

٢ — العلامات الكبرى :

يمكن أن نقسم هذه العلامات إلى علامات قريبة من الساعة وعلامات مواكبة لوقوعها .

أما العلامات القريبة فمنها :

١ — شيوع الكفر والإلحاد فى الناس ولا يبقى حيـــاً من فى قلبه مثقال ذرة من إيمان يقول رسول الله ﷺ : «إن الله يبعث ريحاً من اليمن ألين من الحرير فلا تدع أحداً فى قلبه مثقال حبة من إيمان إلا قبضته»(١) .

وفى هذه الإشارة أيضاً ورد حديث رسول الله ﷺ «لاتقوم الساعة إلا على شرار الناس»(٢) .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «لاتقوم الساعة على أحد يقول الله الله»(٣) .

وعن أبى سلمه عن عائشة قالت سمعت رسول الله ﷺ يقول لا يذهب الليل والنهار حتى تبعد اللات والعزى ، فقلت يارسول الله إن كنت لأظن حين انزل الله (هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون) إن ذلك تاما ، قال : إنه سيكون من ذلك ماشاء الله ، ثم يبعث الله ريحا طيبه فتوفى كل من فى قلبه مثقال حبه خردل من إيمان فيبقى من لاخير فيه ، فيرجعون إلى دين آبائهم»(٤)

(١) رواه مسلم .
(٢) رواه مسلم :
(٣) رواه مسلم .
(٤) رواه مسلم حـ ١٨ صـ ٣٣

٢ — طلوع الشمس من مغربها وغروبها من مشرقها . ويستمر هذا الأمر ثلاثة ايام ثم تعود لطبيعتها فتطلع من المشرق وتغرب من المغرب(١) .

٣ — خروج دابة عجيبة تكلم الناس .

قال الله تعالى « وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون » .

وقال رسول الله ﷺ فيما يرويه مسلم عن عبد الله بن عمرو قال حفظت من رسول الله ﷺ حديثاً لم أنسه بعد ، سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن أول الآيات خروجاً طلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة على الناس ضحى فأيتها ما كانت قبل صاحبتها فالأخرى على أثرها قريباً »(٢) .

وقد قيل فى شأن هذه الدابة إنها تخرج من مكة وتخبر عن دخيلة نفوس الناس وما تحتوى عليه من إيمان أو كفر .

فقد روى أن رسول الله ﷺ قال : « تخرج دابة الأرض ومعها عصى موسى وخاتم سليمان عليهما السلام فتجلو وجه المؤمن بالخاتم وتخطم أنف الكافر بالعصى حتى يجمع الناس على الخوان ، يعرف المؤمن من الكافر »(٣) .

---

(١) د. طه خضير وآخرون — دراسات فى العقيدة الإسلامية ص ١٥٢

(٢) راجع شرح العقيدة الطحاوية ص ٣٤١

(٣) حسنة ابن ماجه وابن المنذر والبيهقى وراجع ص ٢٣ ج ٢٠ من تفسير الألوسى ، وص ٢٧ ج ١٣ من محاسن التأويل للقاسمى .

وفى هذه اللحظة ينغلق باب التوبة ولا يقبل إيمان الكافر وهذا ما يشير إليه قول الله تعالى « هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتى ربك أو يأتى بعض آيات ربك يوم يأتى بعض آيات ربك لا ينفع نفس إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى إيمانها خيرا قل انتظروا إنا منتظرون »(١) :

٤ — خروج المسيح الدجال :

الذى يدعى الألوهية وتظهر على يديه خوارق العادات استدراجا له ومكرا به(٢) ، ذلك لأن حاله مكذب لمقاله إذ هو أعور مكتوب بين عينيه كافر كما ورد فى الصحيحين أن النبى ﷺ قال : « إن الله لا يخفى عليكم ، إن الله ليس بأعور — وأشار بيده إلى عينه — وأن المسيح الدجال أعور عين اليمنى كأن عينيه عنبة طافية » .

وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « ما من نبى إلا أنذر قومه الأعور الدجال إلا أنه أعور وربكم ليس بأعور ومكتوب بين عينيه ك ف ر »(٣) .

وفى رواية يقرأه كل مؤمن كاتب وغير كاتب ، والصحيح الذى عليه المحققون إن هذه الكتابة على ظاهرها ، وأنها كتابة حقيقية جعلها الله آية وعلامة من جملة العلامات القاطعة بكفره وكذبه .(٤)

---

(١) الأنعام الآية ١٥٨

(٢) راجع المعجزة الإعجاز فى القرآن الكريم للمؤلف .

(٣) رواه البخارى ، ومسلم فى صحيحه حـ ١٨ صـ ٥٩

(٤) راجع شرح النووى على صحيح مسلم حـ ١٨ صـ ٦٠

٥ — نزول عيسى عليه السلام حاكما وداعياً إلى شريعة الإسلام ومبطلا للعقائد النصرانية المحرفة .

وقد وردت أحاديث كثيرة بلغت سبعاً وستين حديثاً ووصلت إلى حد التواتر المعنوى ومعظمها واردة فى البخارى ومسلم ومروية من طريق ثمانية وعشرين صحابياً ومنها مارواه أبو هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « والذى نفسى بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكما عدلا فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد حتى تكون السجدة خيراً من الدنيا وما فيها ، ثم يقول أبو هريرة اقرأوا إن شئتم « وإن من أهل الكتاب لا يؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيداً » .

وهكذا يستدل أبو هريرة بهذه الآية على لزوم نزول عيسى فى آخر الزمان ذلك أن أهل الكتاب لم يؤمنوا به كلهم قبل رفعه إلى السماء ، وإذاً لابد لكى يتحقق إيمانهم جميعاً به من نزوله مره ثانية قرب قيام الساعة .

كذلك وردت آيات أخر تفيد نزول عيسى وكون ذلك علامة من علامات قيام الساعة ومنها قول الله تعالى « وإنه لعلم للساعه فلا تمترن بها » وذلك فى سياق الحديث عن عيسى عليه السلام فى سورة الزخرف « ولما ضرب ابن مريم مثلا .. الآيات » ومع كل هذه الدلائل الصريحة على نزول عيسى عليه السلام ، يحاول البعض من الذين يقولون فى دين الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير ، حاولوا أن ينكروا نزول عيسى عليه السلام ، وتجرأوا على نصوص القرآن الكريم يؤولونها بغير علم وعلى أحاديث الرسول الكريم ينكرونها ويطعنون فى رواتها بغير فهم ، هذا وتحاول الفرق الهدامة اليوم مثل البهائية والقاديانية أن تشيع هذه الآراء الهـــدامة ، وتدفع بأزيالها بين آن وآخر لترددها ، والله من ورائهم محيط .

٦ — خروج يأجوج ومأجوج :

وهم أمة فاسده مفسدة ، يخرجون على الناس فيعيثون فى الأرض فساداً ، ويروعون الناس وهذا ماورد فى قول الله تعالى « حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون ، واقترب الوعد الحق فإذا هى شاخصة أبصار الذين كفروا ياويلنا قد كنا فى غفلة من هـذا بل كنا ظالمين »(١) .

وقد حاول بعض المفسرين أن يؤولوا هذه الآية بصرفها عن ظاهرها ، وتفسيرها بهجوم التتار على العالم الإسلامى وترويعهم الناس شرقا وغربا(٢) . غير ان هذا الفهم لا يستقيم مع سياق الآية الكريمه التى تقرن بين ظهور يأجوج ومأجوج وبين اقتراب الوعد الحق وذهول الذين كفروا حين يعاينو هذه العلامة فيقولون فى حسرة « ياويلنا قد كنا فى غفله من هذا » .

فإن هذا السياق لا معنى له الا بتفسير يأجوج ومأجوج على انهم من علامات الساعه .

وهذا ما ذهب اليه جمهرة من المفسرين ، فقد قال الإمام الالوسى ان يأجوج ومأجوج قوم مفسدون يظهرون بعد موت المسيح الدجال يفسدون فى الارض فيدعو عيسى عليهم فيموتون جميعا ، ثم تمطر السماء ، فتطهر الارض من اثرهم(٣) .

---

(١) الأنبياء ٩٧

(٢) راجع محاسن التأويل للقاسمى

(٣) روح المعانى حـ ٧ ص ٩٢ وقارن تفسير الثعالبى حـ ٣ ص ٦٦ حيث فصل صفات واخبار يأجوج ومأجوج

العلامات المعاصره لقيام الساعه : ومنها :

١ — ظهور الدخان الذى يأتى من السماء .

قال الله تعالى « فارتقب يوم تأتى السماء بدخان مبين يغشى الناس هذا عذاب اليم ، ربنا أكشف عنا العذاب إنا مؤمنون أنى لهم الذكرى وقد جاءهم رسول مبين »(١) .

وروى أبو مالك الأشعرى ان رسول الله ﷺ قال: « إن ربكم انذركم ثلاثا : الدخان يأخذ المؤمن كالزكمه ، ويأخذ الكافر فينتفخ حتى يخرج من كل مسمع منه ، والثانية الدابه ، والثالثة الدجال »(٢) .

ويقول المفسرون ان هذا الدخان يملأ ما بين المشرق والمغرب ويمكث أربعين يوما وليله .

٢ — نار تخرج من اليمن تسوق الناس إلى محشرهم .

٣ — خسوف بالمشرق والمغرب وجزيرة العرب وإلى هاتين العلامتين يشير حدث رسول الله ﷺ الذى يجمع عشرا من علامات الساعه .

فعن حذيفه ابن أسيد قال اطلع النبى ﷺ علينا ونحن نتذاكر الساعه فقال : « ما تذاكرون قالو نذكر الساعه فقال : « انها لن تقوم حتى ترون قبلها عشر آيات فذكر الدخان والدجال والدابة وطلوع الشمس من مغربها ونزول عيسى أبن مريم ، ويأجوج ومأجوج ، وثلاثة خسوف : خسف بالمشرق ، وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس الى محشرهم »(٣) .

(١) الدخان ١٣

(٢) راجع ابن جرير (٣) رواه مسلم

٥ — انفجار البحار وتحولها الى نار ملتهبه .

قال الله تعالى : « وإذا البحار فجرت »(١) وقال « وإذا البحار سجرت »(٢) أى ملأت نارا قال المفسرون أن التسجير هو تحول مياه البحار إلى نار نعن سفيان « إذ البحار سجرت » أى أوقدت(٣) .

٦ — تغير نظام الافلاك حيث تكور الشمس وتنكدر النجوم وتنفطر السماء وتتشقق وتصبح وردة كالدهان أى كالنحاس المذاب .

قال الله تعالى : « يوم تكون السماء كالمهل » وقال : « فإذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان » .

وقال تعالى « إذا السماء انفطرت وإذا الكواكب انتشرت » .

٧ — حدوث زلزال عنيف ناتج عن انفراط عقد الكون وتصادم افلاكه .

قال تعالى : « إذا زلزلت الأرض زلزالها واخرجت الأرض اثقالها » .

« قال فى سورة الواقعه : « إذا رجت الأرض رجا وبست الجبال بسا فكانت هباء منبثا »(٤) .

وقال تعالى : « ياأيها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شىء عظيم »(٥) .

وهكذا تتوالى هذه الآيات المواكبه لحدوث الساعة وحتى ينفخ اسرافيل

(١) الانفطار ٣ (٢) التكوير ٦

(٣) راجع تفسير الطبرى المجلد الثانى عشر ص ٤٣ ط الريان وقارن ص ٢١ ٧٠ ج ١٠ من تفسير القرطبى .

(٤) الواقعه ٦ (٥) سورة الحج ١

نفخته الأولى، وقد تكون هذه النفخه هى التى تسبب هذه الظواهر السابقه وذلك كما يقول الله تعالى: «ونفخ فى الصور فصعق من فى السموات ومن فى الأرض الا من شاء الله».

والصور هو قرن كهيئة البوق ودائرة رأسه كعرض السموات والأرض، وورد فى السنة ان اسرافيل واضع فاه على القرن وشاخص ببصره نحو العرش ينتظر الأمر بالنفخ(١).

وبعد أن يصعق كل من فى السموات ومن فى الأرض ويستمرون فى برزخهم أربعين سنة يبعث الله اسرافيل مرة ثانية، ويأمره بالنفخة الثانية التى يقوم الخلائق على اثرها للحساب ثم نفخ فيه اخرى فإذا هم قيام ينظرون وأشرقت الأرض بنور ربها ووضع الكتاب وجيء بالنبيين والشهداء وقضى بينهم بالحق وهم لا يظلمون ووفيت كل نفس ما عملت وهو اعلم بما يفعلون»(٢).

العلم الحديث ونهاية الكون:

لا شك ان العلم الحديث لاصلة له بالاشارات والعلامات الصغرى، وكذلك بعض العلامات الكبرى مثل خروج الدابة ونزول عيسى وغيرها، فهذه امور سمعيه اخبر بها الصادق المصدوق المصدق واخباره يقينيه لانها من عند علام الغيوب، خصوصا وقد تحققت بعض هذه العلامات الصغرى كما سبق ان بينا، وإذا فلا يستطيع العلم ان ينكر مثل هذه الأمور لأن انكاره سوف يكون من غير دليل، اذ أن المنهج الذى يعتمد عليه العلم وهو المنهج الحسى التجريبي غير المنهج الذى تعتمد عليه هذه الأخبار فهى تعتمد على المنهج النقلى السماوى، فهى موضوعات لا يملك العلم التجريبى

(١) أحياء علوم الدين حـ٤ صـ٥١٢

(٢) الزمر الآية ٧٠

بوسائله المحدوده إمكانية بحثها، وإذا فلا مجال للانكار من قبل العلم.

إلا أن أبحاث علماء الفضاء وعلماء الفلك والكيمياء قد كشفت أخيرا عن بعض الظواهر التى تتفق مع بعض العلامات الكبرى والتى أشار اليها القرآن الكريم.

وقد أشار القرآن الى ان البحار سوف تتحول الى نار وأنها سوف تتفجر، وهذا ماوصل الى إثباته أخيرا العالم الكيميائى الذى يدعى «يورى» حيث اكتشف ان فى البحار ذرات ايدروجين ثقيله وغير متحدة مع الأكسجين، وإنما هى عناصر غير مستقرة — ومعلوم أن الايدروجين غاز مشتعل — وأنه إذا تعرضت هذه العناصر الشاردة لضغط حرارى أو كهربائى، فإنها سوف تتحطم وتحطم معها ذرات الماء ويحدث انفجار هائل تتحول بعده كل بحار الدنيا إلى نار مستعرة(١).

— أما عن حدوث الزلزال المروع فى الأرض، وتغير نظام الكون وتشقق السماء وانفطارها وانفراط عقد الكواكب الأخرى، ومجيء الدخان من السماء، فقد أكده العلم الحديث أيضا حين قال، إن نهاية الكون سوف تكون بحدوث انفجار مروع ناتج عن تصادم الافلاك السابحة فى الفضاء تصادما عنيفا يجعل هذه الافلاك تتشقق وتنفطر ويتزلزل كل شيء فيها وتتحول إلى ذرات دخانية.

وهنا يعود الدخان كما كان فى بداية الخلق(٢) «ثم استوى إلى السماء وهى دخان».

(١) د. عبد العليم عبد الرحمن خضر — الإنسان فى الكون صـ٣٧٨ جده ١٩٨٢

(٢) قارن جـ١٦٥ وما بعدها من كتاب «من الآيات العلمية جـ٩٨٣ د. عبد الرزاق نوفل.

وهكذا يشير العلم — على قدرة المحدود — إلى ما يمكن أن يكون عليه الكون فى نهايته وهو إن لم يكن متطابقا تمام التطابق مع ما أشار إليه القرآن من حيث الترتيب لعلامات الساعة إلا أننا نذكر ، ما قالوه من باب الإستئناس فقط ، غير منتظرين من العلم أن يثبت لنا عقائدنا ، فهى ثابته ويقينية ليقين مصدرها وهو علام الغيوب .

وعلى أية حال ، فإن العلم إنما يتفق مع إشارات القرآن فى الخطوط العامة ، وأنى له بالتفاصيل ؟

وإذا كان «لا فوازيه» قد زعم أن قانون بقاء المادة هو القانون النهائى لتفسير هذه القضية ، فإن «كارنون» أحد علماء الكيمياء قد اكتشف قانونا مضادا هـــو قانون «تدهور الطاقة» ومعناه ان الطاقه تتدهور فى اثناء تحولاتها العديده ، وان هذه التحولات تتم فى اتجاه معين ، ولا يمكن ان تسير فى لاتجاه العكسى ، فمثلا : يمكن ان تنتقل كميه حراريه باكملها من جسم حار الى جسم بارد، وليس العكس ممكنا .

ولا يمكن تحويل طاقه حراريه باكملها الى طاقة حركيه اذ لا بد من ان يفقد جزء من الحراره، اما عن طريق الاشعاع، واما بتسربه الى بعض المواد الموصله للحراره كالمعادن ، ويترتب على هذا أن الطاقه آخذه فى النقصان التدريجى غير الملموس(١) .

وهكذا يتبين لنا ان الطاقه والماده فى فناء مستمر ، وأنها ذاهبة حتما الى النهايه ، فقد قال الماديون ان الماده فى التحليل الأخير انما تؤول الى نوع من الطاقه(٢) مما يؤكد ان فناء الطاقه وتدهورها يثبت لنا فناء المادة وعدمها .

(١) د. محمود قاسم — المرجع السابق ص ٣٦ وقارن ص ٣٦ وما بعدها من مقدمة ميزان العمل د. سليمان دنيا

(٢) مالك بن نبى — الظاهره القرآنيه ص ٢٣٥

ومع بداية القرن العشرين اكتشف العلماء القانون الثانى للحراره الدنياميكيه وهو قانون ، الطاقه المتاحه، الذى اثبت بما لا يدع مجالا للشك نهاية الكون ، ويعبر (فرانك ألن) عن هذا القانون فيقول : «ان قوانين الدنياميكا الحراريه تدل على ان مكونات هذا الكون تفقد حرارتها تدريجيا وأنها سائره حتما الى يوم تصير فيه جميع الأجسام تحت درجة الصفر المطلق ويومئذ تنعدم الطاقه وتستحيل الحياة» (١).

وهنا نصل الى معنى قول الله تعالى «كل شىء هالك الا وجهه» وتكون علامات قيام الساعه التى بشر بها القرآن وفصلتها سنة النبى عليه الصلاة والسلام ، حقيقة علميه ، فضلا عن كونها حقيقة دينيه .

د. سعد الدين السيد صالح
أستاذ العقيده والفلسفة المساعد بالكلية

(١) راجع ص ٦ من كتاب الله يتجلى فى عصر العلم

مصادر البحث

أولا – القرآن الكريم

ثانيا – كتب السنه النبويه

١ – صحيح البخارى ٢ – صحيح مسلم

ثالثا – التفاسير

١ – تفسير الثعالبى ٢ – تفسير القرطبى ٣ – تفسير الطبرى

٤ – فى ظلال القرآن – الشيخ سيد قطب

٥ – محاسن التأويل القاسمى

رابعا – المؤلفات البشريه

١ – المنطق الحديث ومناهج البحث د . محمود قاسم

٢ – الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح – ابن تيميه

٣ – الإنسان فى الكون – د . عبد العليم عبدالرحمن خضر

٤ – الظاهرة القرآنية – مالك بن نبى

٥ – إحياء علوم الدين – ابو حامد الغزالى

٦ – الله يتجلى فى عصر العلم – ترجمه د . الدمرداش سرحان

٧ – دراسات فى العقيدة الإسلاميه د . طه خضير وآخرون

٨ – شرح العقيدة الطحاوية – إبن أبى العز

٩ – شمائل الرسول ﷺ – إبن كثير

١٠ – عقيدة المؤمن – أبو بكر الجزائرى

١١ – من الآيات العلميه – د . عبد الرزاق نوفل

١٢ مقدمة ميزان العمل – تقديم د . سليمان دنيا